الهدايات الاجتماعية في سورة الحجرات وبيانها في الحديث النّبوي
دراسة موضوعية مقاصدية

إعداد

د. يوسف محمد عبده محمد العواضي

الأستاذ المشارك في قسم علوم القرآن والسنة جامعة المدينة العالمية بماليزيا

والمشرف في موسوعة الهدايات القرآنية

د. باي زكوب عبد العالي
أستاذ مساعد– قسم علوم القرآن والسنة، جامعة المدينة العالمية، ماليزيا.

د. ياسر طرشاني
أستاذ مشارك– قسم الفقه، جامعة المدينة العالمية، ماليزيا.

د. فؤاد بوالنعمة
أستاذ مشارك– قسم علوم القرآن والسنة، جامعة المدينة العالمية، ماليزيا.

بحث مقدم للمؤتمر القرآني الدولي السنوي (مقدس ٨).

نظمه مركز بحوث القرآن الكريم بجامعة ملايا، بالشراكة مع: كرسي الملك عبد الله بن عبد العزيز للقرآن الكريم بجامعة أم القرى.

الأربعاء والخميس ٥– ٦ ربيع الأول ١٤٤٠هـ، الموافق ١٤– ١٥ نوفمبر ٢٠١٨م.

ماليزيا– كوالالمبور

بسم الله الرحمن الرحيم

الملخص

لا يختلف المسلمون بأنّ القرآن الكريم قد اشتمل على هدايات ترمي إلى إصلاح المجتمعات البشرية جميعا، بإخراجها من الظّلمات إلى النّور، وإيصالها إلى دار السّعادة، ولا شكّ أنّ المجتمعات الإسلامية المعاصرة بحاجة ماسّة إلى معرفة الهدايات الاجتماعية، واستخراجها من القرآن الكريم، وتطبيقها في واقع حياتهم، وتعتبر سورة الحجرات من أهمّ السّور القرآنية التي عالجت قضايا المجتمع المختلفة، فقد اهتمّت ببيان الأحكام وتقوية الأخلاق؛ لذا هدف هذا البحث إلى استنباط أهم الهدايات الاجتماعية التي عالجتها هذه السّورة في ضوء الأحاديث النّبويّة، وأقوال المفسّرين، ثم تحليلها وبيان علاقتها بمقاصد الشريعة الإسلامية، موظّفاً المنهج الاستقرائي التحليلي والمنهج الاستنباطي، وقد توصّل البحث إلى أنّ الهدايات الاجتماعية الواردة في السورة تنقسم إلى خمسة أنواع، وهي كالآتي: الهدايات الاجتماعية في التعامل مع الله ورسوله، الهدايات الاجتماعية في التعامل مع الأخبار، الهدايات الاجتماعية في الصلح، الهدايات الاجتماعية في التعامل بين الأفراد، والهدايات الاجتماعية في التعامل بين المجتمعات، وتوصل البحث إلى مجموعة من النتائج، ومنها وجود مجموعة كبيرة من الهدايات الاجتماعية في سورة الحجرات وتم التركيز عليها مع ربطها بالمقاصد، وترتبط هذه الهدايات ارتباطاً وثيقاً بمقاصد الشريعة فهي تخدم المقاصد العامة كحفظ الدين وحفظ النفس وحفظ المال وحفظ العقل وحفظ العرض.

الكلمات المفتاحية: الهدايات الاجتماعية، سورة الحجرات، الحديث النبوي، المقاصد الشرعي

المقدمة:

الحمدلله والصلاة والسلام على رسوالله ﷺ وبعد: إن الناظر المتدبر لهذه السورة يجد أنها تضع معالم لمجتمع راقٍ متكامل من خلال وضع المبادئ والمناهج التي يقوم عليها هذا المجتمع، ومن خلال التوجيهات القرآنية، والتربية النبوية، والتي أنتجت مجتمعا مثاليا في عصر النبوة والخلافة الراشدة، فهي مدرسة في حد ذاتها، تهدف لتربية الأفراد، والمجتمع، والأمة ككل، وتفصيل ذلك: أنها أرشدت المؤمنين إلى مكارم الأخلاق، وقواعد التربية والتهذيب، وفضائل الأعمال ومبادئ التشريع والتوجيه، وعلو الهمم، فأكّدت عليهم أوّلاً وجوب طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ، وتقديم حكم القرآن والسنة على ما سواهما، وأكّدت ثانياً وجوب احترام جناب النبي ﷺ واحترام سنّته، وأكّدت ثالثاً وجوب التثبّت من الأقوال والأفعال، والاستيثاق من مصدرها، قبل الحكم عليها، و بيّنت رابعاً ضرورة الإصلاح بين المتخاصمين بالعدل والقسط، وذكّرت خامساً بالأخوة

بين المسلمين، وأكّدت سادساً على وجوب الاحتراز عن إهانة المؤمنين في حضورهم وغيبتهم والازدراء بحالهم ومنصبهم، وحذّرت سابعاً من عوامل تفكك المجتمع كسوء الظن، والغيبة، والتجسس، وبيّنت ثامنا أنّ الحكمة من جعل الناس شعوبا وقبائل هو التعارف والتعاون والتكامل، وأنّ ميزان التفاضل بينهم عند الله تعالى هو التقوى ولا شيء سوى ذلك، وأرشدت تاسعاً إلى معرفة حقيقة الإيمان وقيمته، وبينت عاشرا جوب ترك المنّ على الله تعالى بالطّاعة، وإحالة علم الغيب إلى الله تعالى، وأخيرا نبهت على سعة علم الله تعالى.

والهدايات التشريعية في سورة الحجرات لها ارتباط وثيق في خدمة مقاصد الشريعة الإسلامية من حفظ الدين والنفس والعقل والمال والعرض، ففي مضمونها أوامر ونواه كوسائل للحفاظ على هذه المقاصد من ناحية الوجود والعدم.

والمراد بالهدايات القرآنية: الدلالات المبينة لإرشادات القرآن الكريم التي توصل لكل خير، وتمنع من كل شر[١]، كما أن المراد بالمقاصد: المعاني والحِكَم الملحوظة للشارع في جميع أحوال التشريع أو معظمها[٢]، وقد سعى الباحثون لاستخراج وجمع الهدايات الاجتماعية في سورة الحجرات، وربطها بالمقاصد الشرعية، للوصول إلى نتائج ملموسة تفيد الأفراد والمجتمعات، والله الهادي إلى الصواب.

المبحث الأول: الهدايات الاجتماعية في التعامل مع الله ورسوله ومقاصدها في سورة الحجرات

المطلب الأول: بيان معاني الآيات والأحاديث الواردة في التعامل مع الله ورسوله:

لقد أمر الله عباده الموحّدين أن لا يعجلوا بقضاء أمورهم الدينية والدنيوية قبل النّظر إلى قضاء الله لهم فيها ورسوله، حتى لا يقضوا بخلاف أمر الله وأمر رسوله ﷺ فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ﴾ [الحجرات: ١]، والتقدّم يأتي بمعنى التعجّل بالأمر والنّهي[٣]، وعن ابن عباس، في معنى قوله: ﴿لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ أي: "لا تقولوا خلاف الكتاب والسنة"[٤]، وعن مجاهد: "لا تفتاتوا على

(١) ينظر: الهدايات القرآنية دراسة تأصيلية، طه عابدين،ياسين قاري، فخر الدين الزبير، (ط١)، الدمام، مكتبة دار المتنبي، ١٤٣٨هـ - ٢٠١٧ ط١، ج١، ص٤٤.

(٢) ينظر: مقاصد الشريعة الإسلامية، محمد الطاهر بن عاشور، تحقيق: محمد الحبيب ابن الخوجة، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م ، ج٢، ص٢١.

(٣) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، محمد بن جرير، (القاهرة: دار الهجر، ط١، ٢٠٠١م)، ج٢٢، ص ٢٧٢.

(٤) المصدر السابق، ج٢٢، ص ٢٧٣.

رسول الله ﷺ بشيء حتى يقضيه الله على لسانه"[١]، ويقول الزجّاج: "إذا أمرتم بأمر فلا تفعلوه قبل الوقت الذي أمرتم أن تفعلوه فيه"[٢]، وقرأ: "يعقوب الحَضرميّ: ﴿تَقَدَّمُوا﴾ بفتح التّاء والدّال، والباقون: ﴿تُقَدِّمُوا﴾ بضم التاء وكسر الدال"[٣]، ومن قرأ: "﴿تَقَدَّمُوا﴾ فمعناه كمعنى: ﴿تُقَدِّمُوا﴾"[٤]، لكن قراءة "﴿تَقَدَّمُوا﴾ تكون في التقدم الحسي أقوى في المعنى أي لا تتقدموا عليه، بينما قراءة ﴿تُقَدِّمُوا﴾ أقوى في الجانب المعنوي أي لا تقدموا شيئا عليه لا رأيا ولا حكما ولا غيرهما، وهذه الآية تؤيّد قول القرافي: "إنّ الإجماع على أنّ المكلّف لا يجوز له أن يُقْدِمَ على فعل حتى يعلم حكم الله فيه"[٥].

وقد امتثل الصحابة لهذا الأمر الربّاني في خاصّة أنفسهم وفي أمور حياتهم اليومية، حيث لم يكونوا يقضوا بحكم أو رأي دونما الرّجوع في ذلك إلى قول الله وقول رسوله -ﷺ.

ولما نهى الله تبارك وتعالى عباده المؤمنين عن التقدّم على الكتاب والسنة، وكان مقتضى الرّسالة إنفاذ الأوامر والنواهي دون أيّ اعتراض من المرسَل إليهم، فإنّه تعالى أمر عباده المؤمنين بطاعة رسول الله ﷺ وتعظيمه وتوقيره وتبجيله، قال تعالى ذكره: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [الحجرات: ٢]، وعن الضّحّاك في قوله: ﴿لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾، يقول: "نهاهم الله أن ينادوه كما ينادي بعضهم بعضاً وأمرهم أن يشرّفوه ويعظِّموه، ويدعوه إذا دعوه باسم النبوّة"[٦]، والآية تضمّنت نهيين للمخاطبين، فالأوّل قوله: ﴿لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾، فهو نهي عن: "رفع أصواتهم فوق صوته"[٧]، والثاني في قوله: ﴿وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ﴾ فإنّه نهي عن: "أن يجهروا له بالقول كجهر بعضهم لبعض، أي ينادونه باسمه: يا محمد، يا أحمد، كما ينادي بعضهم بعضاً، وإنما أمروا أن يخاطبوه خطاباً يليق

---

(١) المصدر السابق، ج٢٢، ص ٢٧٣.

(٢) معاني القرآن، إبراهيم الزجاج، تحقيق: عبد الجليل شلبي، (بيروت: عالم الكتب، ط١، ١٩٨٨م)، ج٥، ص ٣١.

(٣) النشر في القراءات العشر، محمد بن الجزري، تحقيق: الضباع، (القاهرة: المطبعة التجارية، د.ت، د.ط)، ج٢، ص ٣٧٥.

(٤) معاني القرآن وإعرابه، الزجاج، ج٥، ص ٣١.

(٥) أنوار البروق في أنواء الفروق، القرافي، أبو العباس شهاب الدين، (بيروت: عالم الكتب، د.ط، د.ت)، ج٢، ص ١٦٢.

(٦) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، ج٢٢، ص ٢٧٨.

(٧) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، الشنقيطي، محمد الأمين، (بيروت: دار الفكر، د.ط، ١٩٩٥م)، ج١، ص ٤٠١.

بمقامه ليس كخطاب بعضهم لبعض، كأن يقولوا: يا نبي الله أو يا رسول الله ونحو ذلك"[١]، ويلاحظ أنّ "أن" في قوله: ﴿ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ﴾، متعلّق بقوله: ﴿لَا تَرْفَعُوا﴾ وقوله: ﴿لَا تَجْهَرُوا﴾ ليكون المعنى: أيها المؤمنون لا ترفعوا أصواتكم في حضرة النبيّ ﷺ أو في مجلس يذكر فيه اسمه ﷺ إذا كلّم بعضكم بعضاً، كذا لا تجهروا بالصوت عند خطابكم النّبيّ ﷺ كما صنع وفد تميم حين مناداتهم رسول الله ﷺ من وراء الحجرات -كما سيأتي في حديث البخاري-، وإنما نهيتم عن هذا التصرّف الشّنيع خشية أن يغضب الله عز وجل عليكم فيكون ذلك إيذان بهلاك قائله أو فاعله وهو لا يدري، وقد جاء في صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبيّ ﷺ أنّه قال: «إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله، لا يلقي لها بالا، يرفعه الله بها درجات، وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله، لا يلقي لها بالا، يهوي بها في جهنم»[٢]، وسبب نزول هذه الآية ما روي في البخاري عن ابن أبي مليكة، قال: "كاد الخيّران أن يهلكا أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، رفعا أصواتهما عند النبي ﷺ حين قدم عليه ركب بني تميم، فأشار أحدهما بالأقرع بن حابس أخي بني مجاشع، وأشار الآخر برجل آخر - قال نافع لا أحفظ اسمه - فقال أبو بكر لعمر: ما أردت إلا خلافي، قال: ما أردت خلافك فارتفعت أصواتهما في ذلك، فأنزل الله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ﴾ [الحجرات: ٢]"[٣]، ثم دعا الله عز وجل عباده المؤمنين إلى خفض الصوت في حضرة النبي ﷺ أو عند ذكره، وحثّ على ذلك، وأرشد إليه، ورغب فيه فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [الحجرات: ٣]، وقوله: ﴿امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى﴾ فإنّه يعني: "يسّرها وهيّأها للتقوى"[٤]، يقول سيّد قطب: "فالتقوى هبة عظيمة، يختار الله لها القلوب، بعد امتحان واختبار، وبعد تخليص وتمحيص، فلا يضعها في قلب إلا وقد تهيأ لها، وقد ثبت أنه يستحقها، والذين يغضون أصواتهم عند رسول الله قد اختبر الله قلوبهم وهيأها لتلقي تلك الهبة، وقد كتب لهم معها وبها المغفرة والأجر العظيم"[٥]، ويلاحظ أنّ "لام التعليل" في قوله: ﴿لِلتَّقْوَى﴾، متعلّق بقوله: ﴿امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ ليكون المعنى: هؤلاء الذين يُخفضون أصواتهم في حضرة رسول الله ﷺ أو عند مخاطبته

---

(١) المصدر السابق، ج١، ص ٤٠١.

(٢) الصحيح، محمد بن إسماعيل البخاري، (السعودية: دار الصديق، ط٤، ١٩٩٧م)،كتاب الرِّقاق، باب حفظ اللسان، ح ٦٤٧٨، ج٨، ص ١٠١.

(٣) المصدر السابق،كتاب الصلاة، باب رفع الصوت في المساجد، ح ٤٧٠، ج١، ص ١٠١.

(٤) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، أبو محمد عبد الحق، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٢هـ)، ج٥، ص ١٤٥.

(٥) في ظلال القرآن، سيّد قطب، (القاهرة: دار الشروق، ط١٧، ١٤١٢هـ)، ج٦، ص ٣٣٤٠.

أو عند سماع حديثه ومناقبه هم الذين اختبر الله قلوبهم لأجل التقوى، فأخلصها وهيّأها لذلك، وبعد النهي عن رفع الصوت عند رسول الله ﷺ، شرع سبحانه وتعالى في ذمّ الذين ينادون رسول الله ﷺ بصوت مرتفع، وهو الغرض الذي نشأ عنه ما أوجب نزول صدر السورة فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ﴾ [الحجرات: ٤]، وهذه الآية نزلت في جفاة بني تميم، فقد قدم وفد منهم على النبي – ﷺ – فدخلوا المسجد، فنادوا النبي – ﷺ – من وراء حجرته: أن اخرج إلينا يا محمد، فإن مدحنا زين وإن ذمنا شين، فآذى ذلك من صياحهم النبي – ﷺ – فخرج إليهم، فقالوا: إنا جئناك يا محمد نفاخرك، ونزل فيهم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ﴾، وكان فيهم الأقرعُ بنُ حابس وعيينةُ بنُ حِصْنٍ وَالزِّبْرِقَانُ بنُ بدر وقيسُ بنُ عاصم[1].

المطلب الثاني: بيان الهدايات الاجتماعية في التعامل مع الله ورسوله

من خلال العرض السابق يمكن استنباط الهدايات الاجتماعية من الآيات الخمس الأولى كما يأتي:

- النداء ب ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ يدل على أهمية اتباع منهج الترغيب والمدح في الدعوة؛ فالبرغم من أن الموقف موقف عتاب ونهي؛ بسبب تقدمهم بين يدي الله ورسوله، ورفع أصواتهم – وكفى به معصية– إلا أنه ناداهم بأحب الأسماء إليهم وهو الإيمان؛ ليفتح القلوب المغلقة، والنفوس النافرة المعرضة[2]، فعلى الدعاة السير وفق هذا المنهج إن أرادوا فتح قلوب الناس لهذا الدين.
- لا يجوز الشروع في فرض قبل وقته ولا تطوّع قبل وقته مما جاء به الكتاب أو السنّة، إلا ما أذن به الشرع لحكمة ما كتقديم الزكاة لسد حاجة الفقراء، أو تقديم الصلاة وتأخيرها للمسافر ونحو ذلك.
- –وجوب التأدب مع الله ورسوله، ومنه التأدب مع شرع الله وكتابه وكلام رسوله ﷺ، فانتقاص شيء من ذلك أو ازدرائه بأي شكل من الأشكال حرام معلوم من الدين بالضرورة.
- وجوب تأخير الحكم والرّأي والنّظر والاجتهاد إلى ما بعد البحث في الكتاب والسنّة، ولو عكس الأمر لكان من التقديم الذي نهى الله عنه.

---

(١) أسباب نزول القرآن، الواحدي، تحقيق: عصام بن عبد المحسن، (الدمام: دار الإصلاح، ط٢، ١٩٩٢م)، ج١، ص ٣٨٨.

(٢) سورة الحجرات دراسة تحليلية موضوعية، العمر، ناصر بن سليمان، (الرياض: مكتبة الرشد، ط١، ٢٠٠٨م)، ص ٦٩.

- تقديم قول أو فعل على قول الرّسول ﷺ أو فعله بمثابة التقديم على الله تعالى، لأنّ الرّسول ﷺ إنّما يأمر عن أمر الله عز وجل وينهى عن نهيه، قال تعالى ذكره: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [الحجرات: ١].
- لا يجوز للمؤمن أن يقدم هواه أو هوى غيره على أوامر الله ورسوله، كما قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾﴾ [الأحزاب: ٣٦].
- لا بدّ من تقديم العلم بما يريد الإنسان أن يشرع فيه، لقوله تعالى ﴿وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ [الإسراء: ٣٦]، حيث نهت الآية عن اتباع غير المعلوم.
- لا يجوز تشريع ما لم يشرّعه الله، وتحريم ما لم يحرّمه، وتحليل ما لم يحلله، لأنّه لا حرام إلا ما حرّمه الله، ولا حلال إلا ما أحله الله، ولا دين إلاّ ما شرعه الله.
- تدل هذه الآية على أنه في حياة الرسول ﷺ لم يكن من الجائز التقدم عليه حسيا.
- لا يجوز الكلام بين يدي كلام الله أو كلام رسوله ﷺ.
- ترك التعرض لأقوال النبي ﷺ وإيجاب اتباعه، والاقتداء به؛ ومن ذلك قول النبي ﷺ في مرضه: «مروا أبا بكر فليصل بالناس». فقالت عائشة لحفصة: قولي له: إن أبا بكر رجل أسيف، وأنه متى يقم مقامك لا يسمع الناس من البكاء، فمر عليا فليصل بالناس. فقال النبي – ﷺ –: «إنكن لأنتن صواحب يوسف، مروا أبا بكر فليصل بالناس»[(١)]. ويعني بقوله: صواحب يوسف الفتنة بالرد عن الجائز إلى غير الجائز[(٢)].
- العمل بالقياس ليس تقدما بين يدي الله ورسوله كما يظن نفاة القياس؛ لأن ما قامت دلالته فليس في فعله تقدم بين يدي الله ورسوله، وقد قامت دلالة الكتاب والسنة والإجماع على وجوب القول بالقياس في فروع الشرع فليس فيه إذا تقدم بين يدي الله ورسوله[(٣)].

---

(١) الصحيح، البخاري، كتاب صلاة الجماعة والإمامة، باب حد المريض أن يشهد الجماعة، ح ٦٦٤، ج١، ص١٦٩؛ والصحيح، مسلم بن الحجاج، كتاب الصلاة، باب اسْتِخْلاَفِ الإِمَامِ إِذَا عَرَضَ لَهُ عُذْرٌ مِنْ مَرَضٍ وَسَفَرٍ وَغَيْرِهِمَا مَنْ يُصَلِّى بِالنَّاسِ، ح٩٦٧، ج٢، ص٢٢.

(٢) أحكام القرآن، ابن العربي، أبو بكر محمد بن عبد الله، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط٣، ٢٠٠٣م)، ج٤ ص ١٤٣.

(٣) أحكام القرآن، الجصاص، أحمد بن علي، تحقيق: محمد صادق القمحاوي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤٠٥هـ)، ج٥، ص٢٧٦.

- ﴿لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ﴾ تشير إلى حرمة الابتداع في الدين.
- في اختتام الآية باسمين من أسماء الله وهما: ﴿سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ دلالة على أهمية استشعار مراقبة الله لنا، ووجوب تقوى الله في السر والعلن؛ فهو سميع لأقوالنا عليم بأفعالنا ونياتنا.
- التحلي بمكارم الأخلاق مقصد سامي جاءت به سورة الحجرات.
- وجوب توقير النبي ﷺ وتعظيمه واحترامه.
- عدم الاحتراز من سوء الأدب مع النبي ﷺ بعد هذا النهي المذكور في الآية قد يفضي بفاعله إلى إحباط جميع الأعمال؛ "لأنّ عدم الانتهاء عن سوء الأدب مع الرسول ﷺ يعود النفس بالاسترسال فيه فلا تزال تزداد منه وينقص توقير الرسول ﷺ من النفس وتتولى من سيء إلى أشدّ منه حتى يؤول إلى عدم الاكتراث بالتأدّب"(١).
- على الإنسان أن يكون منتبها يَقِظا، دقيقا في أقواله وأفعاله، وألا يستصغر شيئا؛ فهناك أعمال لا يلقي لها بالا قد تذهب بحسناته من حيث لايشعر.
- وجوب غض الأصوات في حضرة النبيّ ﷺ أو في المجالس التي تذكر فيها مناقبه وسيرته العلمية والعملية، كذا لا يجوز الجهر بالصوت في مخاطبة الرّسول ﷺ مباشرة، أو غير مباشرة كمن يجهر في مخاطبته بالتسليم عليه ﷺ عند قبره وغير ذلك، فحرمة النبي ﷺ ميتا كحرمته حيّاً، وكلامه المأثور بعد موته في الرّفعة مثل كلامه المسموع من لفظه، يقول الشنقيطي: "معلوم أنّ حرمة النبي ﷺ بعد وفاته كحرمته في أيام حياته، وبه تعلم أنّ ما جرت به العادة اليوم من اجتماع الناس قرب قبره ﷺ وهم في صخب ولغط، وأصواتهم مرتفعة ارتفاعاً مزعجاً كلّه لا يجوز، ولا يليق، وإقرارهم عليه من المنكر"(٢)، ويقول القاضي أبو بكر بن العربي: "حرمة النبي ﷺ ميّتاً كحرمته حيّاً، وكلامه المأثور بعد موته في الرّفعة مثل كلامه المسموع من لفظه؛ فإذا قرئ كلامه وجب على كل حاضر ألاّ يرفع صوته عليه، ولا يعرض عنه"(٣).
- ينبغي غض الصوت في مسجد رسول الله ﷺ تعظيماً لشأنه، فقد شدّد عمر رضي الله عنه النّكير على رجلين رفعا أصواتهما في مسجده ﷺ، فعن السّائب بن يزيد، قال: كنت قائماً في المسجد فحصبني رجل، فنظرت فإذا عمر بن الخطاب، فقال: اذهب فأتني بهذين، فجئته بهما، قال: من أنتما – أو من

---

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور، (تونس: الدار التونسية للنشر، د.ط، ١٩٨٤م)، ج ٢٦، ص ٢٢١.

(٢) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، الشنقيطي، ج٧، ص ٤٠٣.

(٣) أحكام القرآن، ابن العربي، ج٧، ص ٣٥٣.

أين أنتما؟ – قالا: من أهل الطّائف، قال: «لو كنتما من أهل البلد لأوجعتكما، ترفعان أصواتكما في مسجد رسول الله ﷺ»[(١)].

- غض الصوت والأدب مع الله ورسوله وفي مجالس العلم وأهل الفضل من أسباب الحصول على التقوى والمغفرة والرحمة.
- كراهة رفع الصوت في حضرة العلماء الصادقين المخلصين، وكذلك عدم مناداتهم بأسمائهم المجردة تشريفا لهم؛ لأنهم ورثة الأنبياء؛ فهذه الآيات وإن كانت نازلة في تعظيم النبي ﷺ، فإنها: "تأديب لنا فيمن يلزمنا تعظيمه من والد وعالم وناسك وقائم بأمر الدين وذي سن وصلاح ونحو ذلك، إذ تعظيمه بهذا الضرب من التعظيم في ترك الجهر دفع الصوت عليه وترك عليه والتمييز بينه وبين غيره ممن ليس في مثل حاله وفي النهي عن ندائه من وراء الباب والمخاطبة له بلفظ الأمر، لأن الله قد ذمّ هؤلاء القوم بندائهم إيّاه من وراء الحجرة وبمخاطبته بلفظ الأمر في قولهم اخرج إلينا"[(٢)].
- لا يرفع صوته بالصراخ من كانت حجته قوية، وأخلاقه سامية؛ بل يفعل ذلك ضعيف الحجة، سيء الاخلاق.
- وجوب تعلم أدب الحوار مع الآخرين عموما، ومع الكبار وأصحاب العلم والفضل خصوصا.
- سوء الأدب في الخطاب مع الآخرين ليس من الحرية في شيء؛ فكما تحب أن تُخاطَب فخاطِب.
- على الدعاة أن يستفيدوا من منهج القرآن في الدعوة، فهو هنا لم يسع لتكميم الأفواه وكبتها، وإنما يسعى لتهذيبها وتشذيبها بغض الأصوات واحترام المخاطب واتباع آداب الحوار مع الآخرين.
- غض الصوت عند مخاطبة الآخرين من سمات المؤمنين.
- حفظ اللسان من الضرورات التي يجب أن يتنبه لها المرء.
- ترك الصلاة والسلام على رسول الله ﷺ عند ذكر اسمه في مجلس من مجالس الذّكر أو العلم بعد هذا التوجيه المذكور على لزوم تعظيم النبي ﷺ قد يفضي بصاحبه إلى التكاسل عن الطاعة[(٣)]، جاء في سنن

---

(١) الصحيح، البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب ﴿لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾ [الحجرات: ٢]، ح ٤٨٤٥، ج٦، ص ١٣٧.

(٢) أحكام القرآن، الجصاص، ج٥، ص ٢٧٧.

(٣) قال ابن حجر: "وقد يوصف بالبخل من تكاسل عن الطاعة كما في الحديث المشهور البخيل من ذكرت عنده فلم يصل علي أخرجه النسائي وصحّحه بن حبان"، ينظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر، (بيروت: دار المعرفة، ١٣٧٩)، كتاب الدعوات، (قوله باب الوفاء بالنذر)، ح ٦٦٩٤، ج١١، ص ٥٧٩،

الترمذي عن أبي هريرة ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: «رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل علي»[1].

- الصبر على كلّ أستاذ وعالم، وعدم الدخول عليه حتى يأذن بذلك، وعدم إزعاجه بالمناداة حتى يخرج بنفسه، وقد حكى الزمخشري عن أبي عبيد أنه قال: "ما دققت بابا على عالم قط حتى يخرج في وقت خروجه"[2].
- الصبر سلاح المؤمن وطريقه للفلاح والنجاح والوصول إلى الخيرات.
- العقل قرين الأدب.
- هذه الآيات تفيد النهي عن إنكار السنة؛ فإن من أنكر السنة الصحيحة أو شيئا منها فقد رفع صوته فوق صوت النبي ﷺ.
- في قوله تعالى: ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى﴾ دلالة على أن الأخلاق الحميدة من أهم معايير التقوى.

المطلب الثالث: بيان مقاصد الهدايات الاجتماعية في التعامل مع الله ورسوله

- هذه الهداية التشريعية تعمل على تحقيق مقصد حفظ الدين من خلال طاعة أوامر الله عز وجل، وعدم تقديم القوانين الوضعية علي الشرائع الربانية، فأي مسألة حديثة تتم دراستها أولا في القرآن الكريم ؛لأنه المرجع الأصلي الأول لكل الأحكام الشرعية ونبحث عن حكم المسائل المستجدة في ضوء مقاصد وقواعد الشريعة الإسلامية، فإذا لم نجد نصا صريحا نعمل بالأدلة الشرعي العقلية كالقياس والاستحسان والاستحصاب وسد الذرائع والمصالح المرسلة.
- الافتتاح بنداء المؤمنين للتنبيه على أهمية ما يرد بعد ذلك النداء لتترقبه أسماعهم بشوق. ووصفهم بالذين آمنوا جار مجرى اللقب لهم مع ما يؤذن به أصله من أهليتهم لتلقي هذا النهي بالامتثال[3]
- المقصد من النهي في قوله تعالى : ﴿لَا تُقَدِّمُوا﴾ [الحجرات: ١] هو النهي عن سوء المعاملة مع الله ورسوله لأن درء المفسدة مقدم في النظر العقلي على جلب المصلحة[1]

---

(١) سنن الترمذي، الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة، تحقيق: أحمد محمد شاكر، (مصر: مكتبة مصطفى البابي الحلبي، ط٢، ١٩٧٥م)، كتاب الدعوات، لم يسم الباب، ح ٣٥٤٥، ج٥، ص٥٥٠.

(٢) الكشاف عن حقائق التزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، الزمخشري، محمود بن عمر، (بيروت: دار الكتاب العربي، ط٣، ١٤٠٧ هـ)، ج٤، ص ٣٥٩.

(٣) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج ٢٦، ص ٢١٥.

- هذه الهداية التشريعية تساعد على توقير المصدر الثاني من مصادر الشريعة الإسلامية وهي السنة النبوية فهي إما مبينة لمجال القرآن أو مقيدة لمطلقه أو مخصصة لعمومه، أو ترد بأحكام تشريعية مكملة لأحكام القرآن، ولا يمكن العمل بالقرآن بدون السنة، كما لا يمكن تفعيل السنة في حياتنا بدون توقير النبي ﷺ، وهذا كله يساعد على تحقيق مقصد حفظ الدين.

المبحث الثاني: الهدايات الاجتماعية في التعامل مع الأخبار ومقاصدها في سورة الحجرات

المطلب الأول: بيان معاني الآيات والأحاديث الواردة في التعامل الأخبار

لما نهى الله سبحانه وتعالى عباده المؤمنين عن إلحاق الأذى برسول الله ﷺ قولاً أو فعلاً أو حالاً، فإنّه أعقبه بوجوب الاحتراز عن إلحاق الأذى بالمؤمنين الناتج عن عدم التثبت من الأقوال والأفعال، وإصدار الأحكام استنادا عليها دون الاستيثاق من مصدرها، مما قد يتسبب في إثارة الكروب، فالحروب، قال تعالى ذكره: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ [الحجرات: ٦]، وفي قوله: ﴿فَتَبَيَّنُوا﴾ قراءتان: الأولى: قراءة حمزة والكسائي وخلف: ﴿فَتَثَبَّتُوا﴾ من التثبّت، والثانية قراءة الباقين: ﴿فَتَبَيَّنُوا﴾ من التبيّن"[٢]، ويراد بالتثبّت: "التحرّي، وتطلّب الثّبات وهو الصدق"[٣]، أمّا التبيّن فهو: "تطلّب البيان، وهو ظهور الأمر"[٤]، وقد ذكر كثير من المفسرين أنّ هذه الآية نزلت في الوليد بن عقبة حينما بعثه رسول الله ﷺ إلى الحارث في بني المصطلق ليجلب ما كان عنده من مال الزكاة، فلما وصل قريباً من بني المصطلق خاف، فرجع إلى رسول الله -عليه الصّلاة والسّلام- وأخبره أن الحارث رفض دفع الزكاة وأراد قتله، فهمّ الرسول -عليه الصّلاة والسّلام- بإرسال بعث إلى بني المصطلق لتأديبهم، فلمّا سمع الحارث بالخبر، أنكره وذهب إلى رسول الله، فلما دخل الحارث على الرسول عاتبه وراجعه أنك فعلت كذا وكذا، فأنكر الحارث[٥]، قال البغوي في شرح السّنة: "والمراد من التبين: التثبت في

---

(١) المصدر السابق، ج ٢٦، ص ٢١٩.

(٢) النشر في القراءات العشر، ابن الجزري، ج٢، ص ٣٧٦.

(٣) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج ٢٦، ص ٢٣١.

(٤) المصدر السابق، ج ٢٦، ص ٢٣١.

(٥) للمزيد ينظر: المعجم الكبير، الطبراني، سليمان بن أحمد، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، (الرياض: دار الصميعي، ط٢، ١٩٩٤م)، باب الحاء، الحارث بن ضرار الخزاعي، ح: ٣٣٩٥، ج٣١١، ص ٢٧٤؛ والمسند، أحمد بن محمد ابن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط١، ٢٠٠١م)، مسند الكوفيّين، حديث الحارث بن ضرار الخزاعي، ح١٨٤٥٩، ج٣٠، ص ٤٠٣.

الأمور، والتأني فيها"[1]، وقد تضمّنت الآية: "مبدأ التمحيص والتثبت من خبر الفاسق فأما الصالح فيؤخذ بخبره، لأن هذا هو الأصل في الجماعة المؤمنة، وخبر الفاسق استثناء، والأخذ بخبر الصالح جزء من منهج التثبت لأنه أحد مصادره، أما الشّكّ المطلق في جميع المصادر وفي جميع الأخبار، فهو مخالف لأصل الثقة المفروض بين الجماعة المؤمنة، ومعطّل لسير الحياة وتنظيمها في الجماعة، والإسلام يدع الحياة تسير في مجراها الطبيعي، ويضع الضّمانات والحواجز فقط لصيانتها لا لتعطيلها ابتداء"[2].

وقد جاء تأكيد هذا المبدأ في السنة النبوية، فعَنْ أبي هريرة ﷺ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ « كَفَى بِالْمَرْءِ كَذِبًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ »[3].

المطلب الثاني: بيان الهدايات الاجتماعية في التعامل مع الأخبار

ومن الهدايات التشريعية المستنبطة من هذه الآيات:

- التأني والتحرّي في خبر الفاسق، والاستيثاق من مصدر المعلومات قبل نشر أخباره، أو بناء الأحكام عليها.
- ردّ شهادة المسلم المتلبّس بالفسق مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [النور: ٤].
- التثبت من الأقوال والأفعال والأخبار عموما، والاستيثاق من مصدرها، قبل الحكم عليها.
- عند ورود الخبر لابد من مراعاة ثلاثة أمور هي: عدالة المخبر، وضبطه وقوة حفظه، وحسن الفهم ودقة الاستيعاب للمراد[4].
- عدم التثبت من الأخبار يوجب الندم.
- علينا أن نوقن أن رسول الله ﷺ باقٍ فينا بشرعه ومنهجه وهديه.
- الرُّشْد الحقيقي هو حب الإيمان والعمل به والتحلي بمكارم الأخلاق، وكراهية الكفر والمعاصي ومساوئ الاخلاق، والابتعاد عنها، ومن كمال الرشد التثبت.
- على الإنسان أن يسأل الله دائما من فضله ونعمه ﴿فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً ﴾.

---

(١) شرح السنة، البغوي، أبو محمد الحسين، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، (بيروت-دمشق: المكتب الإسلامي، ط٢، ١٩٨٣م)، كتاب البر والصلة، باب التأني والعجلة، ج١٣، ص ١٧٦.

(٢) في ظلال القرآن، سيّد قطب، ج٦، ص ٣٣٤١.

(٣) الصحيح، مسلم بن الحجاج، المقدمة، باب النَّهْيِ عَنِ الْحَدِيثِ بِكُلِّ مَا سَمِعَ، ح٧، ج١، ص ٨.

(٤) سورة الحجرات دراسة تحليلية موضوعية، العمر، ص١٨٢.

المطلب الثالث: بيان مقاصد الهدايات الاجتماعية في التعامل مع الأخبار

- في هذه الآية دليل على قبول خبر الواحد إذا كان عدلا، لأنه إنما أمر فيها بالتثبت عند نقل خبر الفاسق. ومن ثبت فسقه بطل قوله في الأخبار إجماعا، لأن الخبر أمانة والفسق قرينة يبطلها. وقد استثنى الإجماع من جملة ذلك ما يتعلق بالدعوى والجحود، وإثبات حق مقصود على الغير[١].
- طبقا لمفهوم المخالفة عند الأصوليين هنا هو أن خبر غير الفاسق لا يجب فيه التبين، وعليه فيقبل خبر الواحد العدل[٢]
- المقصد من إعادة النداء ثانيا للاهتمام بهذا الغرض والإشعار بأنه غرض جدير بالتنبيه عليه بخصوصه حتى لا ينغمر في الغرض الأول[٣].
- الأمر بالتبين أصل عظيم في وجوب التثبت في القضاء وأن لا يتتبع الحاكم القيل والقال ولا ينصاع إلى الجولان في الخواطر من الظنون والأوهام[٤]
- من مقاصد الشريعة الإسلامية مقصد حفظ العقل، وليس للمسلم أن يصدق كل ما يسمع أو يقوم بنقله دون تحقق وتثبت، ولذا حذرت الآية من تصديق كل ما يذاع خاصة لو جاء من شخص معروف عنه الفسق والفجور فلا بد من التبين حفاظاً على عقول الناس، وكذلك على أعراضهم وعدم الوقوع فيما يؤذيهم ويضر بالمجتمع.

المبحث الثالث: الهدايات الاجتماعية في الصلح ومقاصدها في سورة الحجرات

المطلب الأول: بيان معاني الآيات والأحاديث الواردة في الصلح

لما حذّر الله تعالى المؤمنين من النبأ الصادر عن الفاسق لأنّه ربما جرّ فتناً ومصائب عظيمة وأوصل إلى القتال، قال تعالى مكلّفاً الذين ءامنوا —من عقلاء الناس طبعاً حتى لا يكون هنالك انحياز– أن يقوموا بالإصلاح فيما جرّ إليه خبر الفاسق من الفتن والقتال: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، أبو عبد الله، تحقيق: أحمد البردوني وآخرون، (القاهرة: دار الكتب المصرية، ط٢، ١٩٦٤م)، ج١٦، ص ٣١٢.

(٢) دراسات أصولية في القرآن الكريم، الحفناوي، محمد إبراهيم، (القاهرة: مكتبة الإشعاع الفنية، د.ط، ٢٠٠٢ م)، ص ٣٠٥.

(٣) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج ٢٦، ص٢١٩.

(٤) المصدر السابق، ج ٢٦، ص ٢٣١.

فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الحجرات: ٩]، قال أبو بكر البقاعي: "ولما كان الخصام يجرّ في الغالب من القول والفعل ما يورث للمصلحين إحنة على بعض المتخاصمين، فيحمل ذلك على الميل مع بعض على بعض، قال: ﴿بِالْعَدْلِ﴾ ولا يحملكم القتال على الحقد على المتقاتلين فتحيفوا، ولما كان العدل في مثل ذلك شديداً على النّفوس لما تحملت من الضغائن قال تعالى: ﴿وَأَقْسِطُوا﴾ أي وأزيلوا القَسْط – بالفتح وهو الجور – بأن تفعلوا القِسْط –بالكسر– وهو العدل العظيم الذي لا جور فيه، في ذلك وفي جميع أموركم"[١]، ويرى سيّد قطب أنّ الآية عبارة عن قاعدة تشريعية عملية لصيانة المجتمع المؤمن من الخصام والتفكّك، تحت النّزوات والاندفاعات، تأتي تعقيباً على تبيّن خبر الفاسق، وعدم العجلة والاندفاع وراء الحميّة والحماسة، قبل التثبّت والاستيقان"[٢]، وجاء في صحيح مسلم أن هذه الآية نزلت بسبب حدوث خصومة بين الأنصار وقوم لعبد الله بن أبيّ فكان بينهم ضرب بالأيدي والنّعال، فعن أنس بن مالك، قال: قيل للنبي ﷺ: لو أتيت عبد الله بن أبي، قال: «فانطلق إليه وركب حمارا وانطلق المسلمون وهي أرض سَبِخَةٌ»، فلما أتاه النبي ﷺ قال: «إليك عني، فوالله، لقد آذاني نتن حمارك»، قال: فقال رجل من الأنصار: والله، لحمار رسول الله ﷺ أطيب ريحا منك، قال: فغضب لعبد الله رجل من قومه، قال: فغضب لكل واحد منهما أصحابه، قال: فكان بينهم ضرب بالجريد، وبالأيدي، وبالنعال، قال: فبلغنا أنها نزلت فيهم: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا﴾ [الحجرات: ٩][٣]، هذا وقد بيّنت الآية أنه إذا حصل اقتتال بين جماعتين عظيمتين من المسلمين وجب الإصلاح بينهما بالنّصح والدعاء إلى حكم الله تعالى، فإن رفضت إحداهما، وثبت بعد التحرّي والتثبت أنها باغية –والبغي: " الظلم والاعتداء على حقّ الغير"[٤]– وجب نصرة الفئة المبغي عليها، وقتال الفئة الباغية حتى ترجع إلى الحق الذي أمر الله به، وتفصيل هذا كما قال الزمخشري: "ولا تخلو الفئتان من المسلمين في اقتتالهما: إما أن يقتتلا على سبيل البغي منهما جميعاً، فالواجب في ذلك أن يمشى بينهما بما يصلح ذات البين ويثمر المكافة والموادعة، فإن لم تتحاجزا ولم تصطلحا وأقامتا على البغي: صير إلى مقاتلتهما، وإما أن يلتحم بينهما القتال لشبهة دخلت عليهما، وكلتاهما عند أنفسهما محقّة، فالواجب إزالة الشّبهة بالحجج النّيّرة والبراهين القاطعة، واطّلاعهما على مراشد الحقّ، فإن ركبتا متن اللّجاج

---

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي، إبراهيم بن عمر، (القاهرة: دار الكتاب الإسلامي، د.ط، د.ت)، ج١٨، ص ٣٧٢.

(٢) في ظلال القرآن، سيّد قطب، ج٦، ص٣٣٤٣.

(٣) الصّحيح، مسلم بن الحجاج، كتاب الجهاد والسير، باب في دعاء النبي ﷺ إلى الله–، ح ١٧٩٩، ج٣، ص ١٤٢٤.

(٤) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج ٢٦، ص ٢٤٠.

ولم تعملا على شاكلة ما هديتا إليه ونصحتا من اتباع الحقّ بعد وضوحه لهما، فقد لحقتا بالفئتين الباغيتين، وإما أن تكون إحداهما الباغية على الأخرى، فالواجب أن تقاتل فئة البغي إلى أن تكفّ وتتوب، فإن فعلت أصلح بينهما وبين المبغي عليها بالقسط والعدل"[١]؛ ولما أمر الله تعالى عباده المؤمنين بالإصلاح بين الجماعتين المتقاتلتين من المسلمين، قال مذكراً إيّاهم بأخوّة الدّين التي هي أوثق عرى الإيمان، وأقوى عوامل الصّلح بين المسلمين فقال: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الحجرات: ١٠]، واختلفت القرّاء في: ﴿أَخَوَيْكُمْ﴾ [الحجرات: ١٠]، فقرأ: "يعقوب: ﴿إِخْوَتِكُمْ﴾ بكسر الهمزة، وإسكان الخاء وتاء مكسورة على الجمع، وقرأ الباقون: ﴿أَخَوَيْكُمْ﴾ بفتح الهمزة والخاء وياء ساكنة على التثنية"[٢]، فالقراءة الأولى تدل على أهمية الصلح بين الأفراد، والقراءة الثانية تدل على أهمية الصلح بين الكيانات؛ سواء كانت جماعات أو قبائل أو دول ونحو ذلك.، يقول سيد قطب: "ومما يترتب على هذه الأخوّة أن يكون الحبّ والسّلام والتّعاون والوحدة هي الأصل في الجماعة المسلمة، وأن يكون الخلاف أو القتال هو الاستثناء الذي يجب أن يرد إلى الأصل فور وقوعه وأن يستباح في سبيل تقريره قتال المؤمنين الآخرين للبغاة من إخوانهم ليردّوهم إلى الصّفّ، وليزيلوا هذا الخروج على الأصل والقاعدة، وهو إجراء صارم وحازم كذلك، ومن مقتضيات هذه القاعدة كذلك ألا يجهز على جريح في معارك التحكيم هذه، وألا يقتل أسير، وألا يتعقّب مدبر ترك المعركة، وألقى السّلاح، ولا تؤخذ أموال البغاة غنيمة، لأنّ الغرض من قتالهم ليس هو القضاء عليهم، وإنما هو ردّهم إلى الصّفّ، وضمّهم إلى لواء الأخوّة الإسلامية"[٣]. وقد رغبت السنة النبوية في الصلح؛ وبينت أهميته؛ ففي حديثٍ عن أبي الدرداء ﷺ قال: قال رسول الله، ﷺ: ((ألاَ أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة؟))، قالوا: بلى، قال: ((إصلاح ذات البَيْن، فإنَّ فساد ذات البَيْن هي الحالقة))[٤].

المطلب الثاني: بيان الهدايات في الصلح

- الأمر بالإصلاح بين الجماعتين من المسلمين في حال اقتتالهما لشبهة عرضت عليهما.
- وجوب نصرة المظلوم حتى يرجع الظالم عن ظلمه.

---

(١) الكشاف عن حقائق التزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، الزمخشري، ج٤، ص ٣٦٥.

(٢) النشر في القراءات العشر، ابن الجزري، سورة الحجرات، ج٢، ص ٣٧٦.

(٣) في ظلال القرآن، سيّد قطب، ج٦، ص ٣٣٤٣.

(٤) السنن، أبو داود، سليمان بن الأشعث، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، (بيروت: المكتبة العصرية، د.ط، د.ت).كتاب الأدب، باب فِي إِصْلاَحِ ذَاتِ الْبَيْنِ، ج٤، ص٤٣٢.

- معالجة الخلافات بين المسلمين يكون بالعدل في الإصلاح، وباستحضار أخوّة الدين.
- الإصلاح بين الناس سبب من أسباب نزول الرحمة ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الحجرات: ١٠]، وعدم السعي في الإصلاح قد يكون سببا من أسباب حجبها.
- من أعظم القرب عند الله الإصلاح بين الناس، وإصلاح ذات البين.
- الإصلاح بين المسلمين ينبغي أن يقوم به أهل العلم والحكمة من المؤمنين، وألا يترك هذا الأمر للكفار الذين لا يرقبون في مؤمن ذمة.
- الإصلاح بين الناس من عوامل الاستقرار في المجتمع.
- الأخوة من أعظم الروابط البشرية، ومكانتها في الدين كبيرة، والحفاظ عليها من أكبر المقاصد والغايات التي يسعى لها الإسلام.
- من مقتضيات الأخوة الإ صلاح بين المتخاصمين
- درئ الفتنة مقصد عظيم من مقاصد الدين.
- العدل أساس الحكم، وهدف سامي سعى له الإسلام ورتب عليه الأجر الكبير، فرتب عليه حب الله، والظل تحت عرش الرحمن يوم القيامة، فليحرص الإ نسان على العدل في جميع مناحي الحياة.
- العدل هو الحصن الحصين ضد الفتن.

المطلب الثالث: بيان مقاصد الهدايات الاجتماعية في الصلح

- المقصد من هذه الهدايات هو الأمر بالإصلاح بين المؤمنين واجب قبل الشروع في الاقتتال لتحقيق مقصد حفظ النفس والمال وذلك عند ظهور بوادر الخصومات وهو أولى من انتظار وقوع الاقتتال ليمكن تدارك الخطب قبل وقوعه على معنى قوله تعالى: ﴿وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِن بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا﴾ [النساء: ١٢٨][1] ولذا الدعوة إلى الصلح بين الفريقين حسب أمر القرآن وجوب الكفاية[2]
- إن حكمة الله تعالى في حرب الصحابة التعريف منهم لأحكام قتال أهل التأويل، إذ كانت أحكام قتال أهل الشرك قد عرفت على لسان الرسول ﷺ وفعله[3]، وقد كان تحقيق معنى البغي وصوره غير مضبوط في صدر الإسلام وإنما ضبطه العلماء بعد وقعة الجمل ولم تطل ثم بعد وقعة صفين[1]

---

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج ٢٦، ص٢٣٩.

(٢) المصدر السابق، ج ٢٦، ص ٢٤١.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج ١٦، ص ٣١٩.

- في قوله تعالى : ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الحجرات: ١٠] دليل على جواز إطلاق لفظ الأخوة بين المؤمنين من جهة الدين[٢] وفيه تعليل لإقامة الإصلاح بين المؤمنين إذا استشرى الحال بينهم، فالجملة موقعها موقع العلة، وقد بني هذا التعليل على اعتبار حال المسلمين بعضهم مع بعض كحال الإخوة[٣]

المبحث الرابع: الهدايات الاجتماعية في التعامل بين الأفراد ومقاصدها في سورة الحجرات

المطلب الأول: بيان معاني الآيات والأحاديث الواردة في التعامل بين الأفراد

نهى الله عز وجل المؤمنين عن تداول مقالات الشّرّ فيما بينهم التي غالباً ما تكون سبباً لزرع الضّغائن والأحقاد في النفوس فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [الحجرات: ١١]، وعن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَلا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ﴾، يقول: "لا يطعن بعضكم على بعض"[٤]، وعن الطّبري في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ﴾، يقول: "هو دعاء المرء صاحبه بما يكرهه من اسم أو صفة"[٥]. ومدلول الآية عام يتضمّن النّهي عن احتقار النّاس وسبّهم واستصغارهم والاستهزاء بهم سواء كان المهزوء بهم ذكراناً، أو إناثاً، كباراً أو صغاراً، عقلاء أو مجانين، وسواء كانوا من أهل الملّة أو من غير أهل الملّة، هذا وقد تقرّر في السنة النّهي عن الكبر والاستهزاء بالناس واستصغارهم ؛ فقد جاء عن عبد الله بن مسعود، عن النبي ﷺ قال: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرّة من كبر» قال رجل: إنّ الرّجل يحب أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسنة، قال: «إن الله جميل يحبّ الجمال، الكبر بطر الحقّ، وغمط النّاس»[٦]، يقول ابن عاشور: "وإذ كان كلّ من السّخرية واللّمز والتنابز معاصي فقد وجبت التوبة منها فمن لم يتب فهو ظالم: لأنه ظلم الناس بالاعتداء عليهم، وظلم نفسه بأن رضي لها عقاب الآخرة مع التمكن من الإقلاع عن ذلك فكان ظلمه شديدا جدا، فلذلك جيء له

---

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج ٢٦، ص ٢٤٠.

(٢) الفصول في الأصول، أحمد بن علي الجصاص، (الكويت: وزارة الأوقاف الكويتية، ط٢، ١٩٩٤م)، ج ٥، ص٢٨٥.

(٣) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج ٢٦، ص ٢٤٣.

(٤) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، ج٢٢، ص ٢٩٩.

(٥) المصدر السابق، ج٢٢، ص ٣٠٢.

(٦) الصّحيح، مسلم بن الحجاج، كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر وبيانه، ح ٩١، ج١، ص ٩٣.

بصيغة قصر الظالمين عليهم كأنه لا ظالم غيرهم لعدم الاعتداد بالظالمين الآخرين في مقابلة هؤلاء على سبيل المبالغة ليزدجروا، والتوبة واجبة من كلّ ذنب وهذه الذّنوب المذكورة مراتب، وإدمان الصّغائر كبيرة"[١]، وذكر المفسّرون أنّ سبب نزول هذه الآية أنّه لما قدم رسول الله ﷺ المدينة كان رجل منهم له اسمان أو ثلاثة، فكان إذا دعي الرجل منهم بالاسم الذي لقّب به كرهه[٢].

ثم حذر الله من سّوء الظن بالناس، والتجسّس عليهم، وذكر عيوبهم في غيابهم، فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ﴾ [الحجرات: ١٢]، وقوله: ﴿اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ﴾ فإنّه يعني: "التّهمة والتخوّن للأهل والأقارب والنّاس في غير محله"[٣]، وقوله: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾ فإنّه يعني: "تتبّع عورات المسلمين ومعايبهم والاستكشاف عمّا ستروه"[٤]، وقوله: ﴿وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا﴾ فإنه يعني أن: "يتناول بعضكم بعضاً بظهر الغيب بما يسوءه مما هو فيه"[٥]، وقد روي عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «إياكم والظن، فإن الظن أكذب الحديث، ولا تحسسوا، ولا تجسسوا، ولا تحاسدوا، ولا تدابروا، ولا تباغضوا، وكونوا عباد الله إخوانا»[٦]، وفي رواية عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تحاسدوا، ولا تناجشوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، ولا يبع بعضكم على بيع بعض، وكونوا عباد الله إخوانا المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يخذله، ولا يحقره التقوى ها هنا» ويشير إلى صدره ثلاث مرات «بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام، دمه، وماله، وعرضه»[٧]، وسأل النبيّ ﷺ عن الغيبة فقال: «أتدرون ما الغيبة؟» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «ذكرك أخاك بما يكره» قيل أفرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: «إن كان فيه ما تقول، فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه فقد بهته»[٨]. وفي

---

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج ٢٦، ص ٢٥٠.

(٢) ينظر: المعجم الكبير، الطبراني، سليمان بن أحمد، مسند من يعرف بالكنى من أصحاب رسول الله ﷺ ممن لم ينقل إلينا اسمه، من يكنى أبا جبيرة أبو جبيرة بن الضحاك الأنصاري ثم السلمي، ح ٩٦٩، ج٢٢، ص ٣٩٠.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج٧، ص ٣٧٧.

(٤) الكشاف عن حقائق التزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، الزمخشري، ج٤، ص ٣٧٢.

(٥) معالم التنزيل في تفسير القرآن، البغوي، أبو محمد الحسين، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤٢٠)، ج٧، ص ٣٤٦.

(٦) الصحيح، البخاري، كتاب الأدب، باب ما ينهى عن التحاسد والتدابر، ح ٦٠٦٤، ج٨، ص ١٩.

(٧) الصّحيح، مسلم بن الحجاج، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم ظلم المسلم، ح ٢٥٦٤، ج٤، ص ١٩٨٦.

(٨) المصدر السابق، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الغيبة، ح ٢٥٨٩، ج٤، ص ٢٠٠١.

التعقيب على هذا النص القرآني، يقول سيّد: " ففي المجتمع الإسلامي الرّفيع الكريم يعيش الناس آمنين على أنفسهم، آمنين على بيوتهم، آمنين على أسرارهم، آمنين على عوراتهم، ولا يوجد مبرّر- مهما يكن- لانتهاك حرمات الأنفس والبيوت والأسرار والعورات، حتى ذريعة تتبّع الجريمة وتحقيقها لا تصلح في النّظام الإسلامي ذريعة للتجسّس على الناس، فالناس على ظواهرهم، وليس لأحد أن يتعقّب بواطنهم، وليس لأحد أن يأخذهم إلاّ بما يظهر منهم من مخالفات وجرائم، وليس لأحد أن يظنّ أو يتوقّع، أو حتى يعرف أنهم يزاولون في الخفاء مخالفة ماً، فيتجسّس عليهم ليضبطهم! وكلّ ما له عليهم أن يأخذهم بالجريمة عند وقوعها وانكشافها، مع الضّمانات الأخرى التي ينصّ عليها بالنّسبة لكلّ جريمة "[١].

ويفهم من مجموع هذه النصوص الدينية أنّ تتبع عورات الناس والبحث عن عيوبهم للظفر بها ليس من شيم المسلمين ولا من مكارم الأخلاق في شيء، إذ الأصل في الإنسان البراءة من التّهم والعيوب حتى تثبت إدانته، لذا فإنّ تعاليم الإسلام قد شنّعت على من يقعون في أعراض الناس بغير حق، فقد روي عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «لما عُرِجَ بي مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يَخْمُشُونَ وجوههم وصدورهم، فقلت: من هؤلاء يا جبرائيل؟» قال: هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم»[٢]. وقد جاء في السنة توجيهات بستر العورات وعدم إشاعتها بين الناس، فعن أبي هريرة، عن النبي ﷺ، قال: «لا يستر عبد عبدا في الدنيا، إلا ستره الله يوم القيامة»[٣].

وقد ختم سيّد قطب تفسيره لهذه الآيات بقوله: "وبمثل هذا العلاج الثابت المطّرد تطهّر المجتمع الإسلامي وارتفع، وانتهى إلى ما صار إليه: حلما يمشي على الأرض، ومثلا يتحقّق في واقع التاريخ"[٤].

المطلب الثاني: بيان الهدايات في التعامل بين الأفراد

ومن الهدايات التشريعية المستنبطة من هذه الآيات:

- لا يجوز ذكر المسلم لأخيه المسلم أو أخيه الإنسان عموماً بسوء وبما يكره من الألقاب، لأنّ من فعل ذلك فقد ألحق الأذى بغيره، وإلحاق الأذى بالغير سواء كان أذىً حسيّاً أو أذىً معنويّاً مما نهى الشارع الحكيم عنه، كما ورد عن المعرور ابن سويد، عن أبي ذر، قال: رأيت عليه بُرْدًا، وعلى غلامه

(١) في ظلال القرآن، سيّد قطب، ج٦، ص ٣٣٤٦.

(٢) سنن أبي داود، أبو داود، كتاب الأدب، باب في الغيبة، ح ٤٨٧٨، ج٤، ص ٢٦٩.

(٣) الصّحيح، مسلم بن الحجاج، كتاب البر والصلة والآداب، باب بشارة من ستر الله تعالى عيبه في الدنيا، بأن يستر عليه في الآخرة، ح ٢٥٩٠، ج٤، ص ٢٠٠١.

(٤) في ظلال القرآن، سيّد قطب، ج٦، ص ٣٣٤٧.

بُرْدًا، فقلت: لو أخذت هذا فلبسته كانت حلة، وأعطيته ثوبا آخر، فقال: كان بيني وبين رجل كلام، وكانت أمّه أعجمية، فنلت منها، فذكرني إلى النبي ﷺ، فقال لي: «أسابيت فلاناً» قلت: نعم، قال: «أفنلت من أمّه» قلت: نعم، قال: «إنّك امرؤ فيك جاهلية»(١).

■ لا يجوز الاستهزاء بالناس بناء على القيم الظاهرة، لأنّ في التعبير القرآني "إيحاء خفيّ بأنّ القيم الظاهرة التي يراها الرجال في أنفسهم ويراها النساء في أنفسهن ليست هي القيم الحقيقية، التي يوزن بها الناس، فهناك قيم أخرى، قد تكون خافية عليهم، يعلمها الله، ويزن بها العباد، وقد يسخر الرجل الغني من الرجل الفقير، والرجل القوي من الرجل الضعيف، والرجل السّويّ من الرجل المؤوف، وقد يسخر الذّكيّ الماهر من السّاذج الخام، وقد يسخر ذو الأولاد من العقيم، وذو العصبية من اليتيم، وقد تسخر الجميلة من القبيحة، والشّابّة من العجوز، والمعتدلة من المشوّهة، والغنية من الفقيرة.. ولكن هذه وأمثالها من قيم الأرض ليست هي المقياس، فميزان الله يرفع ويخفض بغير هذه الموازين!"(٢)، وقال القشيري: "ما استضعف أحد أحداً إلا سلّط عليه، ولا ينبغي أن تعتبر بظاهر أحوال الناس، فإنّ في الزّوايا خبايا، والحقّ سبحانه يستر أولياءه في حجاب الظّنّة"(٣)، وقد جاء هذا المعنى في الحديث عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ: «كم من أشعث أغبر ذي طِمْرَيْنِ لا يُؤْبَهُ له لو أقسم على الله لأبرّه منهم البراء بن مالك»(٤).

■ من شارك في السّخرية أو رضي بها أو سكت عنها ولم ينكر عليها وهو قادر على الإنكار عليها، فهو ساخر مشارك.

■ السخرية واللمز والتنابز والتجسس وسوء الظن والغيبة من عوامل فساد العلاقات البينية.

■ الجزاء من جنس العمل فمن سخر من الآخرين سُخِر منه.

■ السخرية سمة من سمات المنافقين، ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾ [البقرة: ١٤] فليحذر المرء منها.

■ السخرية مرض ناتج عن كبر وغرور في قلب صاحبه، فهو يرى أنه خير من الآخرين، لكن القرآن ينهاه وينبهه على أن الآخرين قد يكونون خيرا منه.

---

(١) الصحيح، البخاري، كتاب الأدب، باب ما ينهى من السّباب واللّعن، ح ٦٠٥٠، ج٨، ص ١٦.

(٢) في ظلال القرآن، سيّد قطب، ج٦، ص ٣٣٤٤.

(٣) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي، ج١٨، ص ٣٧٦.

(٤) سنن الترمذي، الترمذي، أبواب المناقب، باب مناقب البراء بن مالك ﷺ، ح ٣٨٥٤، ج٥، ص٦٩٢.

- السخرية هي باب للولوج للمز والتنابز بالألقاب وسوء الظن والغيبة والنميمة؛ لذا بدأ القرآن بالنهي عنها أولا.
- من مخاطر السخرية على الساخر:
  - فقدان الاحترام من الآخرين.
  - تجنب الناس له فلا يجد له صديقا ولا قريبا
  - الشعور بالاكتئاب مع مرور االوقت؛ لأن الكل يتجنب المزح والضحك معه ومخالطته.
  - تعرض شخصيته وذاته للتدمير والضياع، وربما هو نفسه لا يحترم ذاته.
- من يعيب أخاه فإنما يعيب نفسه، وهذا المعنى يمكن أن نستفيده من الضمير في قوله تعالى: ﴿وَلا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ [الحجرات: ١١]، ومن لَمَز الآخرين لُمِز.
- السخرية واللمز والتنابز بالألقاب من أسباب الإفلاس وضياع الحسنات يوم القيامة، فعن أبي هريرة ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال: "أتدرون من المفلس"؟ قالوا: المفلس فينا يا رسول الله من لا درهم له ولا متاع، قال رسول الله ﷺ: "المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاته وصيامه وزكاته، ويأتي قد شتم هذا وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا فيقعد فيقتص هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقتص ما عليه من الخطايا أخذ من خطاياهم فطرح عليه ثم طرح في النار"[(١)].
- السخرية المذكورة في الآية شاملة لكل أنواع السخرية، سواء كانت السخرية من المقصّرين المذنبين من المسلمين، أو السخرية من الناس لعيب في خِلقتِهم وصورتهم وتصرفاتهم، أو السخرية من أهل الصلاح والخير.
- على الإنسان أن يحرص على مناداة أصدقائه وإخوانه وغيرهم بأحب الأوصاف إليهم.
- تتبع أسرار الآخرين يفتح باب سوء الظن، فليجتنب المرء تتبع أسرار غيره، وآية ﴿اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ﴾ [الحجرات: ١٢]، أصل في باب سد الذرائع.
- في تكرار النهي "لايسخر" "ولا تلمزوا" "ولا تنابزوا" " اجتنبوا" " ولا تجسسوا" " ولا يغتب " دلالة كبرى على أهمية التخلية من الآفات والمساوئ قبل التحلية بالمكارم والحسنات.
- على المرء أن يراقب ويضبط عواطفه فلا يظن بالآخرين سوءا، وتعابير وجهه فلا يلمز، وأقواله فلا يسخر ولا ينابز ولا يغتب، وأفعاله فلا يعتدي على أحد.

---

(١) المصدر السابق، باب ما جاء في شأن الحساب والقصاص، ح ٢٤١٨، ج٤، ص٦٣٠.

- على المرء إذا وقع في الغيبة أن يستحضر أنه يأكل لحم ذلك الشخص ميتا.
- التمثيل بالحسيات والمشاهدات وسيلة من وسائل الدعوة.
- التوبة والاستغفار المستمر يساعد على التخلص من مساوئ الأخلاق.
- من استمر في مساوئ الأخلاق فهو ظالم لنفسه قبل غيره.
- لا يجوز تتبع عورات الناس لاستكشاف المستور عنهم.
- لا يجوز تهمة الناس بما ليس فيهم حتى تثبت إدانتهم.
- على الإنسان أن يتجنب قليل ظن لئلا يقع في كثيره .

المطلب الثالث: بيان مقاصد الهدايات الاجتماعية في التعامل بين الأفراد

- المقصد من هذه الهدايات الحرص على تحقيق مقصد حفظ العرض، عدم السخرية والاستهزاء والتنابز بالألقاب بين المسلمين.
- المقصد من تخصيص النساء بالذكر مع أن القوم يشملهم بطريق التغليب العرفي في الكلام، كما يشمل لفظ المؤمنين والمؤمنات في اصطلاح القرآن بقرينة مقام التشريع، فإن أصله التساوي في الأحكام إلا ما اقتضى الدليل تخصيص أحد الصنفين به دفعا لتوهم تخصيص النهي بسخرية الرجال إذ كان الاستسخار متأصلا في النساء، فلأجل دفع التوهم الناشئ من هذين السيئين على نحو ما تقدم في قوله من آية القصاص: ﴿وَالْأُنثَىٰ بِالْأُنثَىٰ﴾ [البقرة: ١٧٨][(١)]، فالأصل عموم الأحكام وتساوي الناس فيها.
- المقصد من النهي عن التنابز بالألقاب يختص بما يكرهه الإنسان، فأما الأوصاف الجارية غير هذا المجرى فغير مكروهة، وقد سمى النبي عليه الصلاة والسلام عليا أبا تراب، وقال لأنس: يا أبا الأذنين، وغير النبي عليه الصلاة والسلام أسماء قوم فسمى العاص عبد الله، وسمى شهابا هشاما، وسمى حزنا سهلا[(٢)]
- المقصد من تنكير قوم في الموضعين لإفادة الشياع، لئلا يتوهم نهي قوم معينين سخروا من قوم معينين. وإنما أسند يسخر إلى قوم دون أن يقول: ﴿لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ﴾ [الحجرات: ١١]كما

---

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج ٢٦، ص ٢٤٧.

(٢) أحكام القرآن، الكيا الهراسي، علي بن محمد بن علي، تحقيق: موسى محمد علي وآخرون، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط٢، ١٤٠٥ هـ)، ج ٤، ص ٣٨٤.

قال: ﴿وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا﴾ [الحجرات: ١٢] للنهي عما كان شائعا بين العرب من سخرية القبائل بعضها من بعض فوجه النهي إلى الأقوام[١]

- هذه النواهي الشرعية المقصد منها حفظ أعراض الناس وكرامتهم في حياتهم وبعد موتهم، فالمقاصد الشرعية العامة والخاصة والجزئية تدور حول حفظ حقوق الإنسان المادية والمعنوية، ولذا فليحذر المسلم من الوقوع في مثل هذه النواهي الشرعية.
- المقصد من نهي الإسلام عن الظن هو حفظ حق الإنسان في حفظ عرضه؛ ولأن الظن هو بداية الطريق للتجسس والغيبة وغيرها من الصفات المذمومة، فالأصل مع المسلمين هو حسن الظن والتماس الأعذار وعدم الخوص في أعراضهم.
- يؤكد القرافي أن "قطع الأنساب وفساد الأعراض أمر عظيم"[٢]. وأن"إثم الأذية في الأعراض والنفوس أعظم من الأذية في الأموال"[٣].

المبحث الخامس: الهدايات الاجتماعية في التعامل بين المجتمعات ومقاصدها في سورة الحجرات

المطلب الأول: بيان معاني الآيات والأحاديث الواردة في التعامل بين المجتمعات

يقول الله تعالى بعد النهي عن السّخرية واللّمز والتنابز وسوء الظنّ والتجسّس والغيبة واحتقار بعض الناس بعضاً، منبّها على تساويهم في البشرية وإن اختلفوا في اللّون والشكل والجنس والدين: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: ١٣]، ذكر المفسرون أنّ سبب نزول هذه الآية هو التفاخر بالأنساب والازدراء بالفقراء، فعن ابن عباس قال: "نزلت في ثابت بن قيس، وقوله في الرجل الذي لم يفسح له ابن فلانة؟ فقال رسول الله ﷺ: «من الذاكر فلانة؟» فقام ثابت فقال: أنا يا رسول الله، فقال: «انظر في وجوه القوم»، فنظر فقال: «ما رأيت يا ثابت؟» فقال: رأيت أبيض وأحمر وأسود، قال: «فإنك لا تفضّلهم إلاّ في الدّين والتقوى»، فأنزل الله تعالى هذه الآية"[٤]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣] فمعناه: "إنما

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج ٢٦، ص ٢٤٧.
(٢) الذخيرة، القرافي، ج ٤، ص ٣٠٥.
(٣) المصدر السابق، ج ٢ ، ص ٣٣.
(٤) أسباب نزول القرآن، الواحدي، ج١، ص ٣٩٤.

تتفاضلون عند الله بالتقوى لا بالأحساب"[1]، وقد سئل النبيّ ﷺ عن أكرم الناس فأجاب بما نصّه عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قيل للنبي ﷺ، من أكرم الناس؟ قال «أكرمهم أتقاهم» قالوا: يا نبي الله، ليس عن هذا نسألك، قال: «فأكرم الناس يوسف نبي الله، ابن نبي الله، ابن نبي الله، ابن خليل الله» قالوا: ليس عن هذا نسألك، قال: «فعن معادن العرب تسألوني» قالوا: نعم، قال: «فخياركم في الجاهلية خياركم في الإسلام إذا فقهوا»[2]، والدليل أيضاً على تساوي الناس في خِلقتهم وأنّهم يتمايزون عند الله بالتقوى لا بالأحساب والأنساب ما روى سهل أن النبي ﷺ مرّ عليه رجل فقال: «ما تقولون في هذا؟» قالوا: حَرِيٌّ إن خطب أن ينكح، وإن شَفَعَ أن يُشَفَّعَ، وإن قال أن يُسْتَمَعَ، قال: ثم سكت، فمرّ رجل من فقراء المسلمين، فقال: «ما تقولون في هذا؟» قالوا: حَرِيٌّ إن خَطَبَ أن لا يُنْكَحَ، وإن شَفَعَ أن لا يُشَفَّعَ، وإن قال أن لا يُسْتَمَعَ ، فقال رسول الله ﷺ: «هذا خير من ملء الأرض مثل هذا»[3]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه أيضا، عن النبي ﷺ قال: «تنكح المرأة لأربع: لمالها ولحسبها وجمالها ولدينها، فاظفَر بذات الدين، تربت يداك»[4]، وروي عن أبي هريرة رضي الله عنه أيضا، قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّ الله لا ينظر إلى أجسادكم، ولا إلى صوركم، ولكن ينظر إلى قلوبكم»[5].

ولما أمر الله تعالى بتقديم قوله وقول رسوله ﷺ على سائر الأقوال، وألزم بتعظيم رسوله ﷺ وتوقيره، ونهى عن أذاه في نفسه أو في أمته، وأمر بالثبّت في الأقوال والأفعال قبل الحكم عليها، وأمر بالإصلاح بين المسلمين بالعدل، ونهى عن السّخرية واللّمز والتنابز وسوء الظنّ والتجسّس والغيبة واحتقار بعض الناس بعضاً، ثم نبّه على أنّ النّاس إنّما يتفاضلون عند الله بالتقوى وليس بالأموال أو الأحساب أو الأشكال، فإنّه ختم السّورة مشيراً إلى أنه لا يقبل شيء مما أمر الله به أو نهى عنه إلاّ مع توفّر الإخلاص فقال: ﴿قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ قُلْ أَتُعَلِّمُونَ اللَّهَ بِدِينِكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج٧، ص ٣٨٦.

(٢) الصحيح، البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ المَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ﴾، ح ٣٣٧٤، ج٤، ص ١٤٧.

(٣) المصدر السابق، كتاب النكاح باب باب الأكفاء في الدين، ح ٥٠٩١، ج٧، ص ٨.

(٤) المصدر السابق، ح ٥٠٩٠، ج٧، ص ٧.

(٥) الصّحيح، مسلم بن الحجاج، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم ظلم المسلم، وخذله، واحتقاره، ح ٢٥٦٤، ج٤، ص ١٩٨٦.

الأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيم يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الحجرات: ١٤-١٨]، واختلفت القرّاء في قوله: ﴿لَا يَلِتْكُمْ﴾[الحجرات: ١٤]، فقرأ: "البصريان [يعقوب وأبو عمرو]: ﴿يَأْلِتْكُمْ﴾ بهمزة ساكنة بين الياء واللام، وقرأ الباقون: ﴿لَا يَلِتْكُمْ﴾ بكسر اللّام من غير همز"(١)؛ وفي قوله: ﴿بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الحجرات: ١٨]، فقرأ: "ابن كثير: ﴿يَعْمَلُونَ﴾ بالغيب، وقرأ الباقون: ﴿تَعْمَلُونَ﴾ بالخطاب"(٢)، والأعراب هم: "سكّان البادية من العرب، وأحسب أنه لا يطلق على أهل البادية من غير العرب"(٣)، وذكر المفسّرون أنّ الآية نزلت في أعراب من بني أسد بن خزيمة قدموا على رسول الله ﷺ المدينة في سنة جدبة فأظهروا الشهادتين ولم يكونوا مؤمنين في السر، وأفسدوا طرق المدينة بالعذرات وأغلوا أسعارها، وكانوا يقولون لرسول الله ﷺ أتيناك بالأثقال والعيال ولم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان، فأعطنا من الصدقة، وجعلوا يمنّون عليه، فأنزل الله تعالى فيهم هذه الآية(٤)،

المطلب الثاني: بيان الهدايات في التعامل بين المجتمعات

ومن الهدايات التشريعية المستنبطة من هذه الآيات:

- تأخير ذكر آداب التعامل مع المجتمعات غير المسلمة، للدلالة على أن الواجب على المسلم أن يصلح نفسه أولا، ثم يضبط تعامله مع إخوانه ثانيا، ثم يضبط تعامله مع غير المسلمين ثالثا.
- من أسمى أهداف هذا الدين الذي قررته هذه السورة أنه يسعى إلى التعايش والتعارف بين الأمم لا إلى التناحر، وكل ذلك بناء على أسس وضعها وأمر باتباعها.
- الهدف من الانتماء القبلي أو الدولي إنما هو التعارف والتمايز، وليس الهدف التفاخر على الآخرين والتعالي عليهم فإن التعالي سبب لإثارة الفرقة والتناحر وعدم الاستقرار.
- ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣] أصل في محاربة العنصرية والعصبية.
- لا يجوز التفاخر بالأنساب والازدراء بالفقراء.

---

(١) النشر في القراءات العشر، ابن الجزري، سورة البقرة، ج٢، ص ٣٧٦.

(٢) المصدر السابق، سورة البقرة، ج٢، ص ٣٧٦.

(٣) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج ٢٢، ص ٢٦٤.

(٤) أسباب نزول القرآن، الواحدي، ج١، ص ٣٩٦.

- وجوب التسوية بين خلق الله تعالى جميعاً، وأنّ ميزان تقويمهم وتفضيلهم عن بعضهم البعض يستند إلى التقوى والإيمان والعمل الصالح، وإلى ما يقدمه الفرد في بناء مجتمعه وإصلاحه مهما اختلفت جنسياتهم وأشكالهم وألوانهم.
- لا يعتدّ بشيء مما أمر الله به أو نهى عنه إلاّ مع توفّر الإخلاص.
- التحاشي عن المنّة على الله تعالى بالطّاعة، وإحالة علم الغيب إلى الله تعالى.
- إجراء الأحكام بين النّاس يكون بالظاهر، لا بالظّنّ والباطن، وإنما نكل بواطنهم وسرائرهم إلى الله، أما أن نشقّ عن قلوب النّاس فهذا من باب التألّي على الله عز وجل، وكما جاء في الخبر عن أبي ظبيان، عن أسامة بن زيد قال: "بعثنا رسول الله ﷺ في سرية، فصبحنا الحرقات من جهينة، فأدركت رجلا فقال: لا إله إلا الله، فطعنته فوقع في نفسي من ذلك، فذكرته للنبي ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «أقال لا إله إلا الله وقتلته؟» قال: قلت: يا رسول الله، إنما قالها خوفا من السلاح، قال: «أفلا شققت عن قلبه حتى تعلم أقالها أم لا؟» فما زال يكررها علي حتى تمنيت أني أسلمت يومئذ"[1].

المطلب الثالث: بيان مقاصد الهدايات الاجتماعية في التعامل بين المجتمعات:

- هذه الهداية توسع من مجالات المقاصد ، فالمقاصد لا تقتصر فقط على حقوق الأفراد والمجتمعات فحسب بل تتسع لتشمل الإنسانية والبشرية كلها، وهو مقصد مهم للشريعة غفل عنه كثير من العلماء، فالمقاصد مهمة للمسلمين وغير المسلمين ، ولا يمكن للبشرية أن تتقدم وتنهض بدون تحقيق مقاصد الشارع من خلق الإنسان والعمل على تعمير الأرض.
- في هذه الآية العمومَ والخصوصَ: فأمَّا العموم منهما، ففي قول الله: ﴿إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ [الحجرات: ١٣] ، فكل نفس خوطبت بهذا، في زمان رسول الله، وقبله وبعده، مخلوقةٌ من ذكر وأنثى، وكلها شعوب وقبائل. والخاص منها في قول الله: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣]؛ لأنّ التقوى تكون على من عَقَلَها، وكان من أهلها من البالغين من بني آدم، دون المخلوقين من الدوابّ سِواهم، ودون المغلوبين على عقولهم منهم، والأطفال الذين لم يبلغوا وعُقِل التقوى منهم[2]

(١) الصّحيح، مسلم بن الحجاج، كتاب الإيمان، باب تحريم قتل الكافر بعد أن قال: لا إله إلا الله، ح ٩٦، ج١، ص ٩٦.

(٢) الرسالة، محمد بن إدريس الشافعي، تحقيق: رفعت فوزي عبد المطلب، (مصر: دار الوفاء، ط١، ٢٠٠١م)، ج٥٧.

- المقصد من الختام بجملة ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: ١٣] تعليل لمضمون ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣] أي: إنما كان أكرمكم أتقاكم لأن الله عليم بالكرامة الحق وأنتم جعلتم المكارم فيما دون ذلك من البطش وإفناء الأموال في غير وجه وغير ذلك الكرامة التي هي التقوى خبير بمقدار حظوظ الناس من التقوى فهي عنده حظوظ الكرامة فلذلك الأكرم هو الأتقى[١].

الخاتمة:

أهم النتائج:

توصل البحث إلى مجموعة من النتائج، ومنها وجود مجموعة كبيرة من الهدايات الاجتماعية في سورة الحجرات وتم التركيز عليها مع ربطها بالمقاصد، وهي كالتالي:

(١) بناء المجتمع يقوم على عدد من الأسس ذكرت هذه السورة وأشارت لعدد منها: الإيمان، وتحمل المسؤولية، والإصلاح، والعدل، والأخوة والتكافل والتعاون، والأخلاق واحترام الآخرين ذواتاً وأفكاراً ومبادئاً، والتعارف والتآلف، والمساواة، والرقابة والمحاسبة.

(٢) من عوامل هدم المجتمع، مخالفة الشرع أو الاستهتار به، نشر الشائعات والترويج لها، الفتن والاختلافات، الطعن واللمز بالآخرين، التجسس، الغيبة والنميمة، سوء الظن، التفاخر والتعالي والكبر.

(٣) الهدايات الاجتماعية في التعامل مع الله ورسوله، بوجوب التأدب مع الله ورسوله، ولا يجوز تشريع ما لم يشرّعه الله، وتحريم ما لم يحرّمه، وتحليل ما لم يحلله، وجوب توقير النبي ﷺ وتعظيمه واحترام، وجوب تعلم أدب الحوار مع الآخرين عموما، ومع الكبار وأصحاب العلم والفضل خصوصا وهذه الهداية التشريعية تساعد على توقير المصدر الثاني من مصادر الشريعة الإسلامية وهي السنة النبوية.

(٤) الهدايات الاجتماعية في التعامل مع الأخبار عن طريق التأني والتحرّي في خبر الفاسق، والاستيثاق من مصدر المعلومات قبل نشر أخباره، وعند ورود الخبر لابد من مراعاة ثلاثة أمور هي: عدالة المخبر، وضبطه وقوة حفظه، وحسن الفهم، من مقاصد الشريعة الإسلامية مقصد حفظ العقل، وليس للمسلم أن يصدق كل ما يسمع أو يقوم بنقله دون تحقق وتثبت، ولذا حذرت الآية من تصديق كل ما يذاع خاصة لو جاء من شخص معروف عنه الفسق والفجور فلا بد من التبين حفاظ على عقول الناس وكذلك على أعراضهم وعدم الوقوع فيما يؤذيهم ويضر بالمجتمع.

---

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج ٢٦، ص ٢٦٢.

(٥) الهدايات الاجتماعية في الصلح بمعالجة الخلافات بين المسلمين يكون بالعدل في الإصلاح، وباستحضار أخوّة الدين، الإصلاح بين المسلمين ينبغي أن يقوم به أهل العلم والحكمة من المؤمنين، وألا يترك هذا الأمر للكفار الذين لا يرقبون في مؤمن إلاً ولا ذمة، والمقصد من هذه الهدايات هو الأمر بالإصلاح بين المؤمنين واجب قبل الشروع في الاقتتال لتحقيق مقصد حفظ النفس والمال وذلك عند ظهور بوادر الخصومات وهو أولى من انتظار وقوع الاقتتال ليمكن تدارك الخطب قبل وقوعه.

(٦) الهدايات الاجتماعية في التعامل بين الأفراد تكمن في عدم جواز ذكر المسلم لأخيه المسلم أو أخيه الإنسان عموماً بسوء وبما يكره من الألقاب، السخرية مرض ناتج عن كبر وغرور في قلب صاحبه، فهو يرى أنه خير من الآخرين، لكن القرآن ينهاه وينبهه على أن الآخرين قد يكونون خيرا منه، و المقصد من هذه الهدايات الحرص على تحقيق مقصد حفظ العرض، عدم السخرية والاستهزاء والتنابز بالألقاب بين المسلمين.

(٧) الهدايات الاجتماعية في التعامل بين المجتمعات من أسمى أهداف هذا الدين الذي قررته هذه السورة أنه يسعى إلى التعايش والتعارف بين الأمم لا إلى التناحر، وكل ذلك بناء على أسس وضعها وأمر باتباعها، إجراء الأحكام بين النّاس يكون بالظاهر، لا بالظّنّ والباطن، وإنما نكل بواطنهم وسرائرهم إلى الله، هذه الهداية توسع من مجالات المقاصد، فالمقاصد لا تقتصر فقط على حقوق الأفراد والمجتمعات فحسب بل تتسع لتشمل الإنسانية والبشرية كلها، وهو مقصد مهم للشريعة غفل عنه كثير من العلماء، فالمقاصد مهمة للمسلمين وغير المسلمين، ولا يمكن للبشرية أن تتقدم وتنهض بدون تحقيق مقاصد الشارع من خلق الإنسان والعمل على تعمير الأرض.

توصيات البحث:

(١) العمل على استخراج الهدايات القرآنية من باقي السور القرآنية.

(٢) إقامة المؤتمرات والندوات حول الهدايات القرآنية وربطها بالمقاصد الشرعية.

(٣) عمل موسوعة عن الهدايات القرآنية بتعاون المراكز والجامعات فيما بينها.

المصادر والمراجع:

(١) أحكام القرآن، أبو بكر محمد بن العربي، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط٣، ٢٠٠٣م).

(٢) أحكام القرآن، أحمد بن علي أبو بكر الجصاص، تحقيق: محمد صادق القمحاوي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤٠٥هـ)، ج٥، ص٢٧٦.
(٣) أحكام القرآن، علي بن محمد بن علي الطبري الكيا الهراسي، تحقيق: موسى محمد علي وآخرون، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط٢، ١٤٠٥ هـ).
(٤) أسباب نزول القرآن، أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي، تحقيق: عصام بن عبد المحسن الحميدان، (الدمام: دار الإصلاح، ط٢، ١٩٩٢م).
(٥) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين الشنقيطي، (بيروت: دار الفكر، د.ط، ١٩٩٥م).
(٦) أنوار البروق في أنواء الفروق، أبو العباس شهاب الدين القرافي، (بيروت: عالم الكتب، د.ط، د.ت).
(٧) التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور، (تونس: الدار التونسية للنشر، د.ط، ١٩٨٤م).
(٨) تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن كثير، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، (لبنان: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢، ١٩٩٩م).
(٩) تقريب المأمول في ترتيب النزول، برهان الدين أبو إسحاق الجعبريّ، تحقيق: أحمد سالم ابن مقام الشنقيطي، (مكة المكرمة: مكتب الشنقيطي للخِدمات العلمية والبحثية، د.ط، ٢٠١٣م).
(١٠) جامع البيان، محمد بن جرير الطبري، (دار الهجر، ط١، ٢٠٠١)، ج٢٢، ص ٢٧٢.
(١١) جامع بيان العلم وفضله، أبو عمر بن عبد البر، تحقيق: أبي الأشبال الزهيري، (السعودية: دار ابن الجوزي، ط١، ١٩٩٤م).
(١٢) الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، (القاهرة: دار الكتب المصرية، ط٢، ١٩٦٤م).
(١٣) دراسات أصولية في القرآن الكريم، محمد إبراهيم الحفناوي، (مصر: مكتبة ومطبعة الإشعاع الفنية – القاهرة، دط، ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠٢ م).
(١٤) الذخيرة، شهاب الدين القرافي، تحقيق محمد حجي، (بيروت: دار الغرب، دط، ١٩٩٤م)
(١٥) الرسالة، محمد بن إدريس الشافعي، تحقيق: رفعت فوزي عبد المطلب، (مصر: دار الوفاء، ط١، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م).
(١٦) زاد المسير في علم التفسير، عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي، ، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، (بيروت: دار الكتاب العربي، ط١، ١٤٢٢ هـ).

(١٧) سنن ابن ماجه، محمد بن يزيد بن ماجه، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (بيروت: دار إحياء الكتب العربية، د.ت، د.ط).
(١٨) سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث ، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، (بيروت: المكتبة العصرية، د.ط، د.ت).
(١٩) سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة، الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر، (مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط٢، ١٩٧٥م).
(٢٠) سورة الحجرات دراسة تحليلية، ناصر بن سليمان العمر، (الرياض: مكتبة الرشد، ط١، ٢٠٠٨م).
(٢١) شرح السنة، أبو محمد الحسين البغوي، ، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ومحمد زهير الشاويش، (بيروت– دمشق: المكتب الإسلامي، ط٢، ١٩٨٣م).
(٢٢) صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل، ،(دار الصديق للنشر والتوزيع، ط٤، ١٩٩٧).
(٢٣) صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي).
(٢٤) فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر، (بيروت: دار المعرفة، ١٣٧٩)،
(٢٥) فصول البدائع في أصول الشرائع، محمد بن حمزة بن محمد الفناري، تحقيق: محمد حسين محمد حسن إسماعيل، (لبنان: دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٦ م – ١٤٢٧ هـ)
(٢٦) الفصول في الأصول، أحمد بن علي أبو بكر الجصاص، (الكويت: وزارة الأوقاف الكويتية، ط٢، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م)
(٢٧) في ظلال القرآن، سيّد قطب، (القاهرة: دار الشروق، ط١٧، ١٤١٢هـ).
(٢٨) الكشاف عن حقائق التزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، محمود بن عمر الزمخشري، (بيروت: دار الكتاب العربي، ط٣، ١٤٠٧ هـ).
(٢٩) لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور (بيروت: دار صادر، ط٣، ١٤١٤هـ).
(٣٠) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق ابن عطية، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٢هـ)
(٣١) مسند الإمام أحمد، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد، وآخرون، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط١، ٢٠٠١م).
(٣٢) معالم التنزيل في تفسير القرآن، أبو محمد الحسين البغوي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤٢٠).

(٣٣) معاني القرآن وإعرابه، إبراهيم بن السري بن سهل الزجاج، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، (بيروت: عالم الكتب، ط١، ١٩٨٨م).
(٣٤) المعجم الكبير، سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، (الرياض: دار الصميعي، ط٢، ١٩٩٤م).
(٣٥) معجم مقاييس اللغة، ، أبو الحسين ابن فارس، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، (بيروت: دار الفكر، ١٩٧٩م).
(٣٦) مفاتيح الغيب، أبو عبد الله محمد الرازي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط٣، ١٤٢٠هـ).
(٣٧) مقاصد الشريعة الإسلامية، محمد الطاهر بن عاشور، تحقيق: محمد الحبيب ابن الخوجة، الناشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م.
(٣٨) مكارم الأخلاق ومعاليها ومحمود طرائقها، أبو بكر محمد بن جعفر لخرائطي، تحقيق: أيمن عبد الجابر البحيري، (القاهرة: دار الآفاق العربي، ط١، ١٩٩٩م).
(٣٩) النشر في القراءات العشر، أبو الخير محمد بن الجزري، تحقيق: علي محمد الضباع، (القاهرة: المطبعة التجارية الكبرى، د.ت، د.ط).
(٤٠) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر البقاعي، (القاهرة: دار الكتاب الإسلامي، د.ط، د.ت).
(٤١) الهدايات القرآنية دراسة تأصيلية، تأليف فريق بحثي، وهم: الأستاذ الدكتور طه عابدين والدكتور ياسين قادري والدكتور فخر الدين الزبير، (ط١)، الدمام، مكتبة دار المتنبي، ١٤٣٨هـ - ٢٠١٧.

فهرس المحتويات

الملخص ١
المبحث الأول: الهدايات الاجتماعية في التعامل مع الله ورسوله ومقاصدها في سورة الحجرات..... ٢
المطلب الأول: بيان معاني الآيات والأحاديث الواردة في التعامل مع الله ورسوله:..... ٢
المطلب الثاني: بيان الهدايات الاجتماعية في التعامل مع الله ورسوله ٥
المطلب الثالث: بيان مقاصد الهدايات الاجتماعية في التعامل مع الله ورسوله ٩
المبحث الثاني: الهدايات الاجتماعية في التعامل مع الأخبار ومقاصدها في سورة الحجرات..... ١٠

المطلب الأول: بيان معاني الآيات والأحاديث الواردة في التعامل الأخبار ١٠
المطلب الثاني: بيان الهدايات الاجتماعية في التعامل مع الأخبار ١١
المطلب الثالث: بيان مقاصد الهدايات الاجتماعية في التعامل مع الأخبار ١٢
المبحث الثالث: الهدايات الاجتماعية في الصلح ومقاصدها في سورة الحجرات..... ١٢
المطلب الأول: بيان معاني الآيات والأحاديث الواردة في الصلح ١٢
المطلب الثاني: بيان الهدايات في الصلح ١٤
المطلب الثالث: بيان مقاصد الهدايات الاجتماعية في الصلح ١٥
المبحث الرابع: الهدايات الاجتماعية في التعامل بين الأفراد ومقاصدها في سورة الحجرات..... ١٦
المطلب الأول: بيان معاني الآيات والأحاديث الواردة في التعامل بين الأفراد ١٦
المطلب الثاني: بيان الهدايات في التعامل بين الأفراد..... ١٨
المطلب الثالث: بيان مقاصد الهدايات الاجتماعية في التعامل بين الأفراد..... ٢١
المبحث الخامس: الهدايات الاجتماعية في التعامل بين المجتمعات ومقاصدها في سورة الحجرات ٢٢
المطلب الأول: بيان معاني الآيات والأحاديث الواردة في التعامل بين المجتمعات..... ٢٢
المطلب الثاني: بيان الهدايات في التعامل بين المجتمعات ٢٤
المطلب الثالث: بيان مقاصد الهدايات الاجتماعية في التعامل بين المجتمعات: ٢٥
الخاتمة: ٢٦
أهم النتائج: ٢٦
توصيات البحث: ٢٧
المصادر والمراجع: ٢٧